

شعراء الوطنية

قرأت اليوم آخر كتاب للأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي وهو كتاب شعراء الوطنية. وقد استرعى انتباهي أن يخلو الكتاب من اسم شاعر حر هو ولي الدين يكن الذي قضى حياته منفيًا مشردًا، مكافئًا ضد طغيان السلطان عبد الحميد. ولما استقر به المقام في مصر، أمضى البقية الباقية من حياته مريضًا، ثم مات ضحية الأمراض التي عاناها في النفي والسجن.

وكان ولي الدين يكن إلى جانب دفاعه عن حرمة السياسية، مناضلًا في رفع راية الحرية الفكرية، وقد كان نزاعًا إلى التجديد في الشعر. وكان أسلوبه في الكتابة أسلوبًا قويًا يمتاز بالنبض والحرارة والقوة والسهولة. وهو بلا شك يعد في طليعة المجددين في الأدب العربي. وقد نشبت بينه وبين المرحوم الشيخ رشيد رضا معركة قلمية عنيفة، ومن عباراته الساخرة التي سارت مجرى الأمثال هذه الكلمة:

إني أكره شيئين في اللغة العربية: «أيضًا..» والشيخ

رشيد رضا!! وكان ذلك منذ أربعين عامًا!

ولما سقط السلطان عبد الحميد بأيدي الثوار في تركيا نظم
شوق قصيدته الشهيرة :

سل يلبدزا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور
ورد عليه ولى الدين بقصيدة من نفس الوزن والقافية قال
في مطلعها :

هاجتك خالية القصور فبكيت بالدمع الغزير
ودكرت سكان الحمى ونسيت سكان القبور
واسترعى انتباهي أيضاً أن يخلو الكتاب من اسم المرحوم
مصطفى صادق الرافعي صاحب نشيد « اسلمى يا مصر إننى
الفدى » واسم الشاعر الكبير عباس العقاد صاحب النشيد
القومى وفيه يقول : « إن رفعنا الرؤوس . فليكن ما يكون .
ولتعش يا وطن » .

واسترعى انتباهي كذلك ألا تجيء إشارة إلى الشاعر
مصطفى لطفى المنفلوطى الذى خاطب الخديو عباس عقب
عودته من الحج فقال :

قدوم ولكن لا أقول سعيد وملك وإن طال المدى سييد

وقد حكم على مصطفى لطفى المنفلوطى بالسجن ستة أشهر. وصحت نبوءة المنفلوطى فباد ملك عباس، وبادت أسرة محمد على برمتها!

ولم أجد فى الديوان بيتاً واحداً من الشعر الوطنى الحديث. ولست أدرى كيف نذكر الشعر الوطنى دون أن نذكر مثل هذه الأبيات التى قيلت فى معركة القنال...

أنا إن سقطت فخذ مكانى. يا رفيق فى الكفاح
واحمل سلاحى... لا يرعك دمي يسيل من السلاح
وانظر إلى شفتى أطبقتهما على هوج الرياح.
وانظر إلى عيني أطبقتهما على نور الصبح..
أنا لم أمت.. أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح!

وكيف نذكر الشعر الوطنى دون أن نذكر هذه الأبيات فى

ثورة ٢٣ يولية :

بلدى لاعتشت إن لم أفتدى يومك الحر بيومى وغدى
نازفاً من دم أعدائك ما نزفوه من أبى أو ولدى
أخذ حريتي من غاصبيها سالبها.. وبروحى أفتديها
يحضرنى الآن عشرات الأمثلة من الشعر الوطنى الحديث،

وهو شعر يعد من الناحية الفنية أقوى من شعر كثيرين عنى
الأستاذ الرافعى بسرد أشعارهم وتاريخ حياتهم...

إن هذه الملاحظات السريعة لا تغض من قيمة الجهد
الذى بذله أستاذنا الرافعى فى كتابه شعراء الوطنية، ولا أريد
بما أبدته من ملاحظات أكثر من أن أحقق رغبته التى عبر
عنها فى مقدمة كتابه بهذه الكلمات:

«إذا نبهنى القارئ إلى شاعر فأتى الحديث عنه، ضمن
شعراء الوطنية، فإنى على أتم الاستعداد لتدارك هذا النقص
فى الطبعة التالية من الكتاب».

وهذه العبارة القصيرة، تم على خلق عبد الرحمن
الرافعى. خلق العالم الذى يبحث عن الحق والحقيقة، وقد
تجلى هذا الخلق فى جميع المؤلفات التى أصدرها الرافعى، وفى
مقدمتها «حقوق الشعب» و«الجمعيات الوطنية» وتاريخ
الحركة القومية وعصر محمد على وعصر إسماعيل والثورة
العربية ومصر والسودان ومصطفى كامل ومحمد فريد وثورة
١٩١٩ وفى أعقاب الثورة المصرية.